Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

Journal of University Studies for Inclusive Research

Vol.7, Issue 27 (2024), 13240- 13269

USRIJ Pvt. Ltd

نظريّة التّلقّي – شِعرًا ونثرًا

(بحث تطبيقيّ)

الباحث: حمزة محمّد راغد الخطيب

طالب دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها

أستاذ في اللّغة العربيّة وآدابها

Hamza.Khatib@live.com

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

الملخّص: نظرية التلقي هي مفهوم أدبي يركز على تفاعل القارئ مع النص الأدبي وتأثير الخلفية الثقافية والتجارب الشخصية في استيعابه وتفسيره. يقوم كسر أفق التوقع في الشعر والقرآن بإيجاد مفاجآت أو تحولات غير متوقعة في النصوص، مما يثير انتباه القارئ ويعزز فهمه. يشير البحث إلى أن التطبيق الفني لنظرية التلقي وكسر أفق التوقع يعزز التأثير الجمالي والرمزي للنصوص الشعرية والقرآنية، حيث يتيح للقارئ تجربة متعمقة ومثيرة تفاعلية مع المحتوى. تحليل البحث للنماذج الأدبية والقرآنية يسلط الضوء على كيفية استخدام الكتابة الشعرية والقرآنية لإثارة الفضول وتحفيز التأمل والتأمل لدى القارئ، مما يؤدي إلى توسيع آفاق الفهم والتفاعل الثقافي. تطبيق هذه المفاهيم يساهم في إثراء تجربة القراءة وتعميق فهم النصوص الأدبية والدينية بمختلف جوانبها. نسعى في بحثنا هذا إلى التّركيز على كسر أفق التّوقّع في قصيدة "صباح الخير يا ماجد" لمحمود درويش، وفي بعض الآيات القرآنيّة الكريمة؛ لما في ذلك من تأثير على المتلقّي وعلى توقّعه أثناء القراءة، ونتيجة ذلك التّوقّع بعدها.

الكلمات المفتاحيّة: التّلقّي، كسر أفق التّوقّع، النّقد الأدبيّ، الثّقافة، التأثُّر والتّأثير.

Abstract: Reception theory is a literary concept that focuses on the interaction of the reader with literary texts and the influence of cultural background and personal experiences on their comprehension and interpretation. Breaking the horizon of expectation in poetry and the Quran involves creating surprises or unexpected shifts in texts, which capture the reader's attention and enhance understanding. Research indicates that the artistic application of reader-response theory (reception) and breaking the horizon of expectation enhances the aesthetic and symbolic impact of poetic and Quranic texts, enabling the reader to have a deeper and more interactive experience with the content. Analyzing literary and Quranic models sheds light on how poetic and Quranic writing is used

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

to stimulate curiosity and provoke contemplation and reflection in the reader, leading to an expansion of understanding and cultural interaction. The application of these concepts contributes to enriching the reading experience and deepening the understanding of literary and religious texts from various perspectives. In this research, we aim to focus on breaking the horizon of expectation in Mahmoud Darwish's poem "Good Morning, Majid" and in some Quranic verses, due to their impact on the reader and their expectation during reading, and the subsequent consequence of that expectation.

Key words: Reception, Breaking the Horizon of Expectation, Literary criticism, Culture, Influence and Impact.

المقدِّمة:

إنَّ المتأمل في النصوص الإبداعية يكتشفُ بُعْدَيْن للفعل الإبداعيّ لا ينفصلان، هما:

- **بعد ذاتيّ ؛ يتعلق بالمبدِع نفسه.**

- **بعد خارجيّ؛ يتعلّق بالآخر، وهو هنا المتلقّي الافتراضي.**

من هنا، فإنَّ عملية التواصل ينبغي أن تكون في اتجاهين متمازجين هما: **من المبدِع إلى المتلقّي، ومن المتلقّي إلى المبدِع.**

لكنّ العلاقة بين المبدِع والمتلقّي لا تسير – كما يبدو للوهلة الأولى – حسب هذا الظن الظاهري ، وقد يأخذ حدوث الاستجابة من المتلقين زمناً يطول أو يقصر، وفي كلّ الأحوال فإنّ المبدِع لا يأخذ بردّات الفعل

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

السريعة والآنية. ومن الأعمال الإبداعية ما لا تجد المتلقّي القادر على الارتفاع إلى مستواها لسبب أو لآخر، فتفقد هذه الأعمال الفرصة التي تؤهلها لأنْ تبلغ حقّها من التقدير والاستيعاب والفهم.

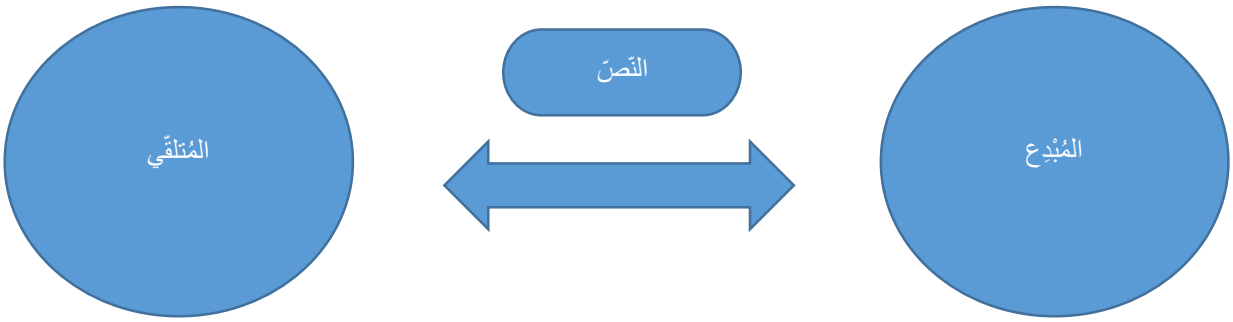

فالمعادلة إذًا، قائمةٌ على علاقةٍ متبادلة تجعل الاثنين (المبدع والمتلقّي) صاحبي سلطةٍ أحدهما على الآخر.

وعلى الرغم من الاختلاف الواضح في قدرة القرّاء على استقبال الأعمال الأدبية، وتباين مستوياتهم الثقافية والمعرفية، فإنّ هناك إقرارًا من جانب النقاد بضرورة وجود حدّ أدنى من الشروط التي تجعل هؤلاء القرّاء على معرفة معقولة بالأساليب والقواعد التي تتحكم بالنوع الأدبيّ، والظروف التاريخيّة التي كان العمل الأدبيّ نتاجاً لها وعاكساً لتفاصيلها.

ومع تزايد أهمية نظرية التلقّي في الإبداعِ والنّقد، وجَبَ علينا البحث عن المنتج الفكريّ والنقديّ المعالج لإجراءات هذه النظرية في تراثنا النقديّ والبلاغيّ.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

منهج الدراسة:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، من خلال ما يأتي:

- إظهار معنى التّلقّي في اللّغة والاصطلاح، وبيان أهميّته، وأنواعه.

- استقراء المادّة العلميّة وتتبّعها من مظاهرها المختلفة، في جمع أقوال العلماء في نظريّة التّلقّي، وعند جمع الأمثلة الّتي تقع تحت النقاط والعناصر المختلفة الّتي اشتمل عليها البحث.

- دراسة الأمثلة الّتي تخدم عناصر الموضوع المختلفة، وتناوُلها بالشّرح والتّفسير والتّحليل، واستخراج النّتائج منها، وتحليل الأقوال والنُّقول الواردة فيها.

أوّلًا: المقصود بالتلقّي في النقد الحديث:

يُعدّ مصطلح التلقّي من المصطلحات النقديّة التي أثارت اختلافا كبيراً بين النقا ، من حيث عدم اتفاقهم على مصطلح واحد، كما أن المنظرين للتلقي وإن كانت آراؤهم تصب في اتجاه واحد فقد اختلفوا فيما بينهم اختلافاً دقيقاً، كما هو الحال بالنسبة **لروبرت ياوس** الذي يمثل اتجاهًا خاصاً بجمالية التلقّي، و**ولفجانج إيزر** كونه يمثل اتجاهًا خاصًا بنظرية التأثير الجمالي، إلا أنّهما اتجاهان يكملان بعضهما في إطار نظرية التلقّي أو الاستقبال (البريكيّ، ٢٠٠٦).

وللتّلقّي لغةً واصطلاحًا إشكاليّةٌ في التّفسير، سببها التّرجمة أو التّأويل، ما ولَّدَ اصطلاحاتٍ متعدّدةً لنظرية واحدة (البريكيّ، ٢٠٠٦)، فقد اصطلح للتلقي مصطلحات متعدّدة منها (الاستجابة، والاستقبال، والتلقّي، والتأثير، والقراءة، والتقبّل) (الرّويليّ والبازعيّ، ٢٠٠٢)، وكلها تحت مصطلح واحد هو التلقّي، وهي مصطلحات يصعب الفصل بينها (المبارك، ١٩٩٩).

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

وإذا حاولنا أن نضع تعريفًا للاستجابة نجد أنّ مفهوم الاستجابة "ذو أصول منحدرة من نظريات علم النفس، وقد كانت الاستجابة إحدى الإجراءات الأساسيّة في المدرسة السلوكية، وعلى الرغم من عناية ايزر بهذا المفهوم إلا أنه يُعدّ جزءًا من كلّ، وهو يستعمله بعد أن يفرغه تماماً من محموله النفسانيّ بالنسبة لنظريته" (عودة، ١٩٩٧).

أما مصطلح الاستقبال فهو الآخر يعاني من إشكال في " ثلاث لغات أوروبية هي: الألمانية، والفرنسية، والانجليزية، على النحو الذي أشار إليه ياوس، حين وجد أنّ المصطلح في الفرنسية والانكليزية يتضمن معنى الاستقبال الفندقي، في حين أنّه ينفرد بإشارة جمالية في اللغة الألمانية" (عودة، ١٩٩٧). فتكون الاستجابة حالةً بعد الاستقبال أو التّلقّي من خلال ردود الأفعال، أما التّلقّي فهو عامل الرّبط الأوّلي بين المتلقّي والنّصّ.

وقد أنتجت الثقافة العربية مصطلحًا يدلّ على مفاهيم التلقّي وهو مصطلح (التقبّل) الّذي اقترحه د.شكري المبخوت في كتابه (جمالية الألفة)، إلا أنّ مصطلح التقبّل يحمل مدلولاً قِيَمِيّا يدلّ على إصدار الأحكام الذاتية التي تخضع لعمليات ما قبل الفهم، وهذا ما يتنافى مع دعوة كل من ياوس وايزر المتفقة مع إنجازات هوسرل والداعية إلى تهشيم هذه القبْليّة، والاعتماد على الفهم بوصفه بنية عقلية.

إن المصطلحات المتعدّدة مثل: الاستقبال، والاستجابة، والتأثير، والقراءة، هي مصطلحات دقيقة يحمل كلٌّ منها معناه المرتبط دوماً بالقارئ، غير أنّ المصطلح المتداول هو مصطلح التلقّي والذي يدلّ على أنّه "بمفهومه الجمالي ، ينطوي على بعدين، **مُنفعِل وفاعل** في آن واحد، إنّه عملية ذات وجهين؛ أحدهما: الأثر

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

الذي ينتجه العمل في القارئ، والآخر : كيفية استقبال القارئ لهذا العمل أو استجابته له"((ياوس، ٢٠٠٤).

كما أن التلقّي هو "النظرية الأدبية التي تضم العناصر الأخرى في رباط قويّ، هذا بالإضافة إلى أنّ مصطلح التلقّي أكثر شيوعًا واستقراراً في الأوساط النقديّة، وهذا يرجّح كفته أكثر من المصطلحات الأخرى" (البريكيّ، ٢٠٠٦).

ويلاحظ أنّ النقاد العرب القدامى قد ميّزوا بين إلقاء النص وإرساله، وتلقيه، أو استقباله، فآثروا الإلقاء والتلقّي وعدّوهما فناً خاصة فيما يتعلق بفنّ الخطابة، وبالتالي فإنّ النص يفقد جماله وقيمته إذا كتب، كون التأثير من جانب الملقّي شفاهة يكون أكثر، لوجود ميزة التفاعل النفسي بينه وبين المتلقي/السامع، لذلك كانوا يقولون : (فلان لا يُلقي بالاً لما يُقَال)، يعنون أنّ المتلقّي لم يتفاعل نفسياً مع ما يقوله المُلقِي، فكان الإلقاء لديهم مرتبط باستحضار القلب، وبذلك اهتموا بالتلقّي (عبّاس، ١٩٩٦).

ثانيًا: مفهوم جمالية التلقّي:

جمالية التلقّي أو مدرسة كونستانس الألمانية تعدّ جامعة لكلّ المناهج والمدارس الداعية إلى الاهتمام بالمتلقي أو القارئ. ويمثل هانز روبرت ياوس، وولفغانغ إيزر اتجاهين مكوّنين لجمالية التلقّي المنقسمة إلى اتجاهين أساسين هما:

الأول : اتجاه ياوس في نظرية (جمالية التلقّي أو الاستقبال).

والثاني : اتجاه إيزر في نظريته الخاصة بمصطلح (التأثير).

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

حيث إن " مفهوم جمالية التلقّي لا يحيل على نظرية موحّدة، بل تندرج ضمنه نظريتان مختلفتان يمكن التمييز بينهما بوضوح هما؛ نظرية التلقّي، ونظرية التأثير" (شرفي، ٢٠٠٧)، ويتّضح الافتراق بينهما من خلال مطالعة التسمية والروّاد، أمّا التّوافق فيكمن في أنّ " وضع تصوّرات معيّنة بشأن التلقّيات المختلفة والمتتالية للنصّ يتطلّب **تحليل بنيات النصّ التأثيريّة** التي تستدعي **استجابة** معيّنة" (شرفي، ٢٠٠٧).

وإذا كان التلقّي والتأثير اتجاهين مختلفين، فإنّه من المستحيل الفصل بينهما، إذ إنّ التأثير يخصّ النص، والتلقّي يخصّ القارئ،"والتقاء النصّ والقارئ هو الذي يخرج العمل الأدبي إلى الوجود، وهذا التلاقي لا يمكن تحديده أبداً على وجه الدقّة" (إبراهيم، ١٩٨٤).

على أنَّ التَّفاعل بين القارئ من جهة، والنّصّ من جهةٍ أخرى، ومن ورائهما المُبدع هو الّذي يحقّق الجماليّة. " وهذا التفاعل بالضبط هو الذي منع جمالية التلقّي أن تكون نظريةً للتلقّي الخالص، أو نظريةً للتأثير الخالص، ومنعها من التركيز على النصّ وحده، أو التركيز على المتلقي وحده، فكانت في الوقت نفسه تنطلق من النصّ ومن المتلقّي، وتحاول الإمساك بالتفاعل القائم بينهما؛ أي بين التأثير والتلقّي" (شرفي، ٢٠٠٧).

ثالثًا: أفق التّوقّع:

من هنا، فإنَّ للمتلقّي توقُّعًا لكلِّ نصٍّ وَمُرْسَلَة، فترتبط المسافة الجماليّة مَعَ أفق التّوقُّعِ هذا في تكوينِ فاعليّة التّلقّي.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

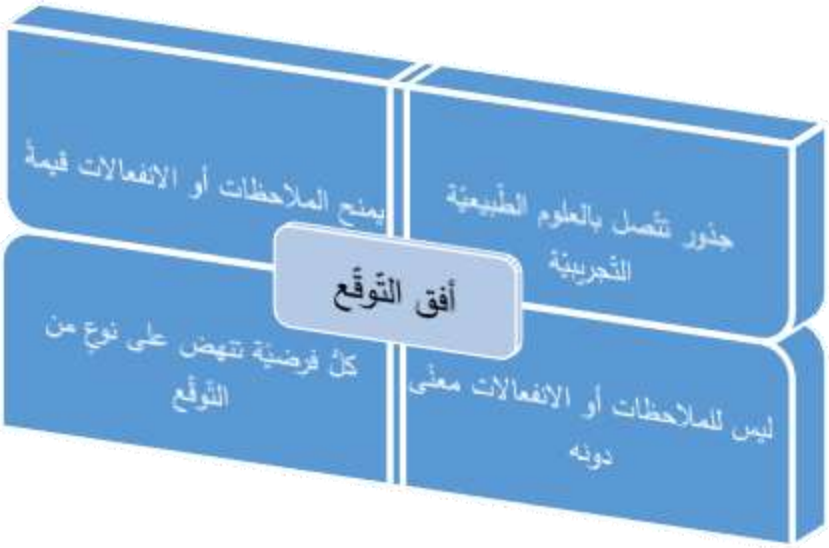

لذا، فالتّلقّي يختلف بينَ متلقٍّ وآخر، ولو كان ذلك للنَّصِّ عينه. إثر ذلك، نجد للتّلقّي حالاتٍ ونتائِجَ، يُمْكِنُ تلخيصها في ما يأتي:

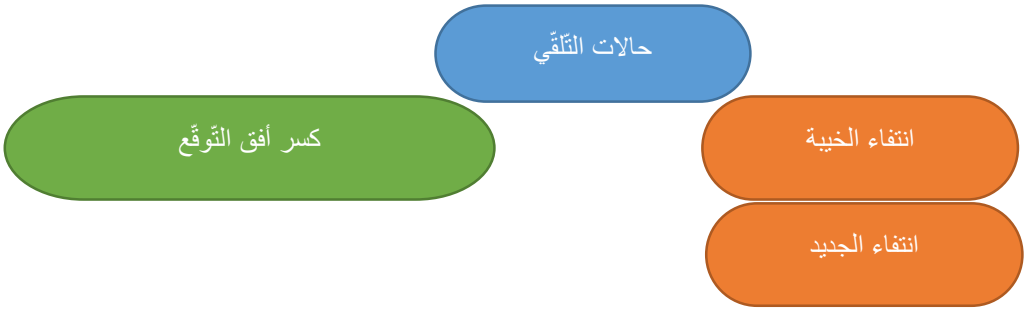

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

وَقد يُكْسَرُ أُفقُ التَّوقُّعِ:

أ- سلبًا، إذا كان النّصُّ أدنى من المتوقَّع. فيؤدِّي ذلك حتمًا إلى إهمال النّصّ.

ب-إيجابًا، إذا كان النّصّ فوق المتوقَّع. فيؤدّي ذلك إلى فتح فضاءات فكريّة وخياليّة جديدة، فلا يُصبحُ النَّصُّ مُهْمَلًا متروكا.

أمّا تاليًا، فسيتمّ العمل في أنموذجين تطبيقيّينِ، الأوَّل شعريّ، في قصيدة "صباحُ الخيرِ يا ماجد" لمحمود درويش. والثّاني نثريّ بأخذ التّهكّم القرآنيّ مثالًا.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

التّلقّي وكسر أفق التّوقّع – أنموذج تطبيقيّ في الشِّعر

صباحُ الخيرِ يا ماجد

لمحمود درويش

أوّلًا: عَنِ الكاتِب:

وُلد محمود درويش في ١٣–آذار–١٩٤١ في قرية البروة على بعد ١٥ كم من عكا (كنفاني، ١٩٦٨)، هدم الاسرائيليّون قريته عام ١٩٤٩، فنزح معَ أسرته إلى لبنان عندما طُرِدَ الفسطينيّون من قراهم، ثمَّ عاد بعد سنة إلى غير قريته الّتي محيت عن الأرض وحلّت محلّها مستوطنة اسرائيليّة (مجلّة شؤون فلسطينيّة، ١٩٧١). عانى درويش من النّفي داخل الوطن. وفي مدينة حيفا عرف السّجن وهو في عمر أربع عشرة سنة. انتسب للحزب الشّيوعي وعمل في صحيفتي (الاتّحاد) و(الجديد) (حديدي، ١٩٩٨).

وما بين ١٩٦٥–١٩٦٧ سجن الشّاعر حين حامت حوله شبهة تعاطيه النّشاط المعادي لاسرائيل. ويُذكر أنّه حين حاول محامي الدّفاع أن يعتذر على لسان محمود درويش، سأله القاضي عن رأيه بهذا الاعتذار فأجاب: "المحامي يعبّر عن وجهة نظره ولكنّني لا أعترف بما يقول، ولن أردّد هذا القول أو أؤيّده أبدا". ففرضت عليه المحكمة غرامة ماليّة تقدّر بمائتي شنغن إسرائيليّ.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

وقد كان عرضةً للاعتقال مرَّاتٍ كثيرة بسبب قصائده وكلماته، إذ اعتقل عام ١٩٦٩ للمرّة الخامسة في سجن "الجملة" بعد أن نسف المقاومون عدَّة بيوت في "حيفا". ممَّا أدَّى إلى نفيه خارج الوطن.

تنقَّل الشّاعر بين العواصم العربيّة والأجنبيّة واستقرَّ به المقام أخيرًا في بيروت، الّتي لم يتركها إلَّا في أعقاب الاجتياح الإسرائيليّ لها عام ١٩٨٢. وكاد خروجه من بيروت أن يودي بحياته إذ تعرّض إثر ذلك لنوبةٍ قلبيّة حادَّة. وفي بيروت غنّى درويش أجمل ما يقال للعشّاق والمناضلين. وهو المجنون عشقًا في تراب الوطن والمناضل عبر كلّ حرفٍ في كلمته (مجلّة الوطن العربيّ، ١٩٨٦).

حصد محمود درويش بشعره الكثير من الجوائز مثل جائزة البحر المتوسط ١٩٨٠ ودرع الثّورة الفلسطينيّة ١٩٨١ ولوحة أوروبا للشّعر ١٩٨١ وجائزة الآداب من وزارة الثّقافة الفرنسيّة ١٩٩٧ وغيرها من الجوائز والدّروع.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

تزوج من الكاتبة رنا قباني ولكنهما تطلّقا. ولاحقًا في منتصف الثمانينيات تزوج من حياة هيني وهي مترجمة مصرية. لم يرزق بأي أطفال من كلا الزّواجين. أما من حيث ديانة محمود درويش ومعتقداته وطائفته ، فقد ولد لعائلة مسلمة.

ذهب محمود درويش إلى مدينة هيوستن إلى مركز تكساس الطبّي في الولايات المتحدة الأمريكيّة ليجري عملية القلب المفتوح، فدخل بعدها في غيبوبة جعلت الأطبّاء هناك ينزعون أجهزة الإنعاش كما كان قد أوصاهم ليتوفّى يوم السبت في التّاسع من آب عام ٢٠٠٨ وليعلن الرّئيس الفلسطيني محمود عباس الحداد ثلاثة أيام حزنًا على "شاعر فلسطين".

عاد جثمانه إلى الوطن – رام الله – في ١٣ آب، ودُفن في قصر رام الله وأعيد تسميته ليكون "قصر محمود درويش للثّقافة".

ثانيًا: عَنِ القصيدة:

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

١ – مناسبة القصيدة:

كان ماجد أبو شرار، صديق محمود درويش، مدرِّسًا في مدرسة "عي" قضاء الكرك في الأردن، وأصبح مديرًا لها، قبل أن يتعاقد مع رجل أعمال سعودي، ويسافر إلى الدّمام ليعمل محررًا في صحيفته اليومية "الأيام"، وذلك سنة ١٩٥٩؛ الأمر الذي أتاح له فرصة للتعبير عن أفكاره ورؤيته الوطنية.

التحق عام ١٩٦٢ بحركة فتح، وذلك في جهاز الإعلام الذي كان يشرف عليه كمال عدوان "مفوض الإعلام"، وأصبح أبو شرار فيما بعد رئيسًا لتحرير صحيفة "فتح" اليومية، ثم مديرًا لمركز الإعلام.

وبعد وفاة كمال عدوان، أصبح مسؤولًا عن الإعلام المركزي، ثم الإعلام الموحد، وجرى اختياره أمين سرٍّ للمجلس الثوري لحركة فتح في المؤتمر الثالث للحركة.

ساهم ماجد أبو شرار في دعم وتأسيس مدرسة الكوادر الثورية في قوّات العاصفة عام ١٩٦٨. وكان أَبرز من ترأّس موقع "المفوض السياسي العام"، وقد شغل هذا المنصب بين عامي.(1973–1978)

أصبح عضواً في الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين منذ عام ١٩٧٢؛ كما كان عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي. وكان ذا باع طويل في ميدان الثقافة والفكر، وساهم في فتح أبواب الدول الاشتراكية أمام الثورة والحركة، وكان قد طاف معظم دول العام بدءًا من الأردن إلى الصين مرورًا بكوبا وغيرها.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

صدر له العديد من القصص والكتابات من بينها مجموعة قصصية باسم "الخبز المر"، وكان ساخرا في كتاباته السياسية التي كان ينشرها في زاويته "جدًّا" بصحيفة "فتح"، ومن أشهر مقالاته:

صحفيّ أمين جدًا، واحد غزاوي جدًا، شخصيّة وقحة جدًا، واحد منحرف جدًا...

اغتال الموساد الإسرائيلي ماجد أبو شرار في التّاسع من تشرين الأوَّل عام ١٩٨١؛ إذ انفجرت قنبلة في سريره في أحد فنادق العاصمة الإيطالية روما، أثناء مشاركته في فعاليات مؤتمر عالميّ للتضامن مع الشّعب الفلسطينيّ، ونقل جثمانه إلى بيروت ليدفن في مقابر الشّهداء. وقد رثاه محمود درويش في قصيدتِهِ موضوعِ بحثِنا.

٢- <u>أبياتٌ منتقاة من القصيدة:</u>

صباحُ الخيرِ يا ماجدْ

صباحُ الخيرْ

قمِ اقرأْ سورةَ العائدْ

وحثَّ السيرْ

إلى بلدٍ فقدناهُ

بحادثِ سيرْ

صباحُ الوردِ يا ماجدْ

صباحُ الوردْ

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

قمِ اقرأْ سورة العائدْ

وشدّ القيدْ

على بلدٍ حملناهُ

كوشمِ اليدْ

صباحُ الخيرِ يا ماجدْ

صباحُ الخيرِ والأبيضْ

قم اشربْ قهوتي، وانهضْ

فإن جنازتي وصلتْ. وروما كالمسدّس،

كلُّ أرض الله روما،

يا غريب الدارْ،

يا لحماً يغطّي الواجهات وسادة الكلمات،

يا لحم الفلسطينيّ،

يا خبزَ المسيح الصلبَ، يا قُربان حوض الأبيض المتوسطْ...

اختصرِ الطريق عليك يا لحم الفلسطينيّ، يا سجادة الوثنيَ،

يا كهف الحضارات القديمة،

يا خيام الحاكم البدويَ،

يا درع الفقير ويا زكاة المليونير،

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

يا شرعية البوليس والقديس إذ يتبادلان الاسمَ،

إذ يتناوبان عليك يمتزجان، يتّحدان، ينقسمان مملكتين، يقتتلان فيك،

وحينَ تنهض منهما يتوحّدان عليك يا لحم الفلسطينيّ،

تجمّع أيها اللحم الفلسطينيّ في واحدْ

تجمّع واجمع الساعدْ

لتكتبَ سورة العائد.

٣- <u>المُتوقَّع من القصيدة وكسر التّوقّع:</u>

أ- <u>المُتَوَقَّع:</u>

إنَّ متلقّي قصائد محمود درويش يُدْرِكُ أنَّه سيقرأ بالغالب قصيدةً وطنيَّةً تطال القضيَّة الفلسطينيّة في موضوعها، وأنَّ شكلها لن يكونَ عموديًّا بل أنَّها ستكون من قصائد التّفعيلة. وهذا ما كان واضحًا هنا.

<u>في الشّكل:</u>

بُنِيَتْ هذه القصيدة على تفعيلة الوافر "مفاعلتُن"، فكانت كما اعتدنا من درويش، قصيدَةً حديثَةً قائمةً على تفعيلة واحدة:

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

صباحُ الخيرِ يا ماجدْ

//./.// ./.// (مفاعيلن مفاعيلن)

صباحُ الخيرْ

//./.// (مفاعيلن)

قمِ اقرأْ سورةَ العائدْ

//./.// ./.// (مفاعيلن مفاعيلن)

وحثَّ السيرْ

//./.// (مفاعيلن)

إلى بلدٍ فقدناهُ

//.///. ./.// (مفاعلتُن مفاعيلن)

بحادثِ سيرْ

//.///.(مفاعلتُن)

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

في المضمون:

كغالبِ قصائد درويش، ركَّزت هذه القصيدة على فلسطين الوطن رغم كونها رثاءً. فانتشر الحقل المعجميّ المتعلّق بفلسطين في هذا الأبيات: "دار (مرّةً)، أرض (مرّةً)، بلد (مرَّتين)، فلسطينيّ (٤ مرَّات)..."

كما دعت إلى العودة والتّمسّك بالوطن مهما جرى كأنّه وشمٌ في ظاهر اليد.

ب-كسر أفق التّوقّع:

يتوقَّع المتلقّي تفاؤلًا وبشاشةً تتبعُ كلماتٍ كـ"صباح الخير" و"صباح الورد"، وقد دعا درويش إلى العودة المعهودة، ولكنَّه فاجأ الجميع بتشاؤم واستسلامٍ أتى بعدهما. فالعودة هذه هي إلى بلدٍ "فقدناه"، وفيها اعترافٌ مبطَّنٌ بالهزيمة، بالاستسلام. فأين "الخير" و"الورد" في ذلك؟!

وجدَ الخيانةَ شاعرُنا في كُلِّ أرض، وهو الّذي كان يرى الوفاء متجذِّرًا في أرض فلسطين وفي عيون المنضلين العرب. ففجأةً قال الشَّاعر إنَّ "كلّ أرض الله روما". روما، تلك المدينة الَّتي وصل فيها الموساد بعملائه إلى ماجد ففجَّروا سريره بالاتِّفاق معَ أطرافٍ قريبةٍ وبعيدة.

لحم الفلسطينيّ عند الشّاعر صار شمَّاعةً، تُعَلَّقُ عليها كلُّ الأفعالِ والقضايا، فغابت القدسيّة عن ذلك وطغى المكر. فالمسيح والوثنيّ والحاكمُ البدويّ والفقير والمليونير والبوليس والقِدّيس، كلُّهم تناوبوا وحملوا واقتتلوا على قضيّة فلسطين، وكلُّهم باعوها. لذا، فاجأنا درويش بفقدانه الأمل بالجميع.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

على غير عادَةٍ، تكرّرت "يا" النّدائيّة ١٦ مرَّةً، وانتشرت أفعال الأمر. وقد كان من أوَّلها كالقرآنِ "اقرأ"، وللشَّاعر آياتٌ مقدَّسةٌ جديدة. وهنا المفاجأة، إذ كانت قصيدته تدعو إلى إضافةِ سورةٍ جديدةٍ يكتبها اللّحم الميّت في ساعدٍ واحدٍ هي سورة العائد. فكأنّما درويش هو الملاك وماجدٌ هو النّبيّ. من هنا، وفي ظلِّ هذا التّشاؤم، لكأنَّني أرى في قصيدته هذه سورةً كاذبةً، فلا عودةَ إلى الوطن مما جرى. لذا، يبدو لي أنَّ شاعر القضيّة، شاعر الأمل. خسر القضيّة وترك الأمل، ووجد الكذبَ برأيِه في كلّ شيءٍ، حتّى في الكتب المقدّسة.

القصيدةُ هذه، عودةٌ إلى واقِعٍ أسودَ مرير، ليس فيه إيمانٌ أو تفاؤلٌ أو فرحةٌ وَعَوْدَة. فلا غرابَةَ في شاعِرٍ كهذا أن يجريَ أكثر من عمليّة جراحيّةٍ لقلبهِ وأن يموتَ بواحدة منها.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

التّلقّي وكسر أفق التّوقّع – أنموذج تطبيقيّ في النّثر

التّهكُّم القرآني مِثالًا

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

أوّلًا: التّهكُّم:

لغةً: تهكَّمَ فلانٌ على فلان، استهزأ به واستخفَّ.

وتهكّم على غيره، ازداد غضبه وحمقه. وتهكّم فلانٌ على الأمر الفائت: تندّم.

اصطلاحًا: التّهكّم هو الكلام الّذي يذكر في غير سياق التّواصل المتعارف عليه بهدف النّيل سلبًا من مقولةٍ أو فكرة أو معتقد أو كائن. **فيكسر تواتر مسار الحديث** من مسار الجدّ إلى مسار هزل. وهو فنّ يرسم الضّحكة على الوجوه ولكنّه يورث جرحًا وينوي شرًّا، على عكس التّندّر الّذي لا يهدق من وراءه الإهانة أو التّعرّض (الأمويّ، ١٩٨٧). والتّهكّم أيضًا نوعٌ من أنواع أسماء التّضادّ، وقوامه بأن **يقول المرء ضدَّ ما يريد قوله صراحةً**، مصحوبًا بنيّة السّخرية.

التّهكّم عند المحدثين طريقةٌ من طرق البلاغة، هي أن تريدَ شيئًا وتُظهرَ غيره، أي أن تعبّر عمَّا تريد أن تقوله بقولٍ مضادّ له. فتجيء بالذّم في قالب المدح، أو بالجدّ في قالب المزاح، أو بالحقّ في قالب الباطل. والفارق بين المتكّم والمرائي هو أنّ المتهكّم لا يتهكّم إلّا للإيحاء بالحقيقة، في حين أنّ المرائي لا يبغي بكذبه إلا ستر الحقيقة وإخفاءها في سبيل مصلحته (صليبا، ١٩٨٢).

وهو "أداةٌ دقيقةٌ في أيدي الفلاسفة والكتّاب الّذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها السّاسة للنّكاة بخصومهم وهي حينئذٍ تكون لذعًا خالصًا. وقد تستخدم برقّةٍ وحينئذٍ تكون تهكُّمًا، وعلى هذا، فإنَّ اللّذع والتهكُّم لونان من ألوان السّخرية" (ضيف، ١٩٥٨).

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

ثانيًا: اختيار الموضوع:

عندما يتلقّى المرء نصًّا دينيًّا قدسيًّا، **فآخرُ ما يتوقّعه هو التّهكّم والسّخرية**. بل هو يتوقّع بشارةً أو نُذرًا أو قَصَصًا. على أنَّ القرآنَ كتابَ المسلمين الأقدسَ هو أكثر الكتب بلاغةً وإعجازًا عند المسلمين.

على أنَّ انسجام المعاني القرآنيّة –والدّينيّة– وتأنُّق لفظها قد يسوق إلى استباق بعض المعاني في **أفقِ التَّوقُّع**، بل قد يصل الأمر إلى توقُّع الألفاظ نفسها قبل نطقها. ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الشّعبي عن زيد بن ثابت قال: أملى عليَّ رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم هذه الآية: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ**﴾ (سورة المؤمنون ١٢–١٤). فقال معاذ بن جبل: "فتبارك اللهُ أحسن الخالقين"، فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال له معاذ: "ممّ ضحكت يا رسول الله؟"، فقال: "بها خُتِمت". وورد في بعض الرّوايات أنَّ ذلك من موافقات عمر بن الخطّاب (السّيوطي، ٢٠١١).

إنَّ النّاظر في ما ذكرنا أعلاه، يرى التّدرُّج في عمليّة خلق الإنسان فيتوقّع كلامًا عن قوّةٍ أو حسن خلق الله له. لذا، فالمتوقَّع من النّصوصِ الدينيّة أمرٌ واضح، إذا كان المتلقّي عارفًا باللِّغةِ معرفةً دقيقة، وهو من أهمِّ الشّروط الوارد توفّرها في المتلقّي الصّحيح.

"وعلى ذلك، فما ورد على ألسنة الصّحابة من كلامٍ اتّفق وجوده مع القرآن هو راجعٌ إلى هذا الرّقي العالي في البلاغة القرآنيّة الّتي يتسلسل فيها الكلام وينساب انسيابًا، يمهّدُ فيه سابقٌ للاحقٍ، ويُبنى فيهِ ثانٍ

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

على أوَّلٍ، وتتوثّق فيه علاقة النّتائج بمقدِّماتها، على نحوٍ منقطعِ النّظير" (الخطيب، ٢٠١٠). ويُعرف ذلك بائتلاف الفاصلة، وسمّاه البعض التّمكين.

وقد أقدم الكثير من العلماء على التّأليفِ حديثًا عن هذا الفنّ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب "نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور" لبرهان الدّين البقاعيّ.

كما ذهب بعض المشكّكين بالقرآن إلى الحديث عن كلامٍ للصّحابةِ فيه. وكلُّ ذلك يرجع إلى مدى التّوقّع الكبير الموجود في النّصّ القرآني، والدّينيّ عامّةً.

من هنا، كان قلبُ المعاني والكلامُ في إطارِ السّخرية أمرًا يكسرُ هذا التّوقّع عند سامع القرآن أو متلقّيه. لذا، كان اختيار هذا الموضوع.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

ثالثًا: مظاهر كسر أفق التّوقّع في القرآن الكريم:

إنَّ لِكسر الأفق في القرآنِ مظاهِرَ كثيرة، سيتمّ ذكرها، والخوض في أسلوب التّهكّم حصرًا، لما أرى فيهِ من كسرٍ أكبرَ لأفق التّوقّع عن غيره المرتبطِ بالإعراب والبلاغةِ لا بالمعنى. منها:

- **الالتفات:** نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، كنقله من المخاطب إلى الغائب وما شابهَ ذلك، نحو: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾ (سورة يونس ٢٢).
- **الاحتباك:** أن يُحذفَ من الأوَّل ما أُثْبِتَ نظيره في الثّاني أو العكس، نحو: ﴿**فِئَةٌ تقاتِلُ في سبيلِ اللهِ وأُخرى كافرة**﴾ (سورة آل عمران ١٣).
- **غريب التّشبيه:** وهو في التّشابيه لطرفٍ أو طرفين غير معلومين، نحو: ﴿**طَلعُها كأنَّه رؤوس الشّياطين**﴾ (سورة الصّافّات ٦٥).
- **المغايرة في الإعراب والتّوجيه النّحويّ:** وهي في اعتقاد السّامع بإعرابٍ متَّصلٍ، فيرى إعرابًا آخر، وذلك نوعٌ من البلاغة والحبكِ تقديمًا وتأخيرًا وتخصيصًا، وإلى ما هنالك، نحو: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (سورة المائدة ٦٩).
- **التّهكّم:** وهو موضوع بحثِنا.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

رابِعًا: التّهكّم في بعض الآيات – التّطبيق:

أتى التّهكُّمُ في القرآنِ في مواضِعَ كثيرَةٍ، عبارةً عن استخدام لفظ البشارة في موضع النّذارة، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء. وفي كلِّ ذلك كسرٌ للتّوقّع لما فيه من تضادٍ وتعاكس وخلافٍ للأصْلِ. ومِن الآياتِ على ذلك:

١. ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ (سورة النّساء ١٣٨).

إنَّ متلقّي هذه الآية يقع في أكثرِ من مفاجأةٍ تكسرُ توقُّعه. فعندما يسمع بلفظ البشارة الآتي أمرًا "بشِّرْ"، فإنّه سينتظر كلماتٍ كـ: "المسلمين، أو المؤمنين أو المتّقين" فيرى أنّ الكلمة هي "المُنافقين". فكيف للمنافقين بالبشارة؟! وهم الّذين وعدهمُ القرآنُ بالعذاب الأبديّ، وبِمَ سيكون تبشيرهم؟

يُفاجَأُ المتلقّي بأنَّ البِشارَةَ هي بعذابٍ أليمٍ. أوَلَيْست هذه نذارةً ووعيدًا وتهديدًا؟

من هنا، يرى المتلقّي أنّ توقّعه في أثناء تلقّيه هذه الآية قد كُسِرَ. فيرى فيها لذْعًا بالمنافقين، سخريةً بهم.

٢. ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ (سورة الصّافّات ٢٢-٢٣).

تشبه هاتين الآيتين ما سبقهما من مِثالٍ، إلّا أنّها جعلت من كسْرِ التّوقّع تأرجحًا بين عذاب وبشارةٍ وعذاب.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

٣. ﴿**خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ (سورة الدّخان ٤٧-٤٩).

إنَّ البادِئَ في تلقّي هذه الآياتِ يُحَضِّرُ نَفْسَهُ لتلقّي وصفٍ عَنِ العذابِ الشّديد في الجحيمِ، وفي تلك الآياتِ –عدا عن الانتقال من الغائب إلى المخاطب للشّخصِ عينِهِ– كَسْرٌ لتوقُّعِ المتلقّي.

يَظْهَرُ كَسْرُ الأفقِ هذا في وصفِ الكافِرِ المُعَذَّبِ وَصْفًا غريبًا، أتى هنا مدحًا في معرضِ الاستهزاءِ، وذلك في الآية الأخيرة. يقولُ في هذه الآيةِ ابن عاشور: "وقوله: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ مستعملٌ في التّهكّم بعلاقة الضّدّيّة. والمقصود عكس مدلوله، أي: أنت الذّليل المُهان" (ابن عاشور، ٢٠٠٤).

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

ذُكِرَ إنَّ الآيةَ هذه نزلت في أبي جهل بن هشام، وهو كريمٌ عزيزٌ في قومِهِ. لذا، نجد اللّذْعَ والتّهكُّمَ واضِحًا هنا، كأنَّ المُعَذِّبَ (اللهَ) يُري ذلك الآثم أنَّه لا كريمَ هناكَ إلَّا الإلٰه، وأنَّ الآثِمَ، ولو كانَ كريمًا في الدّنيا، فهو مُهانٌ في الآخرة، في ذُلٍّ وتحقيرٍ وسخريةٍ تامَّة.

الخلاصة والتّوصية: يبقى أنَّ كسرَ أُفِقِ التَّوَقُّع، هو أحلى ما في الأدب والفَنِّ والإرسال، فهو الّذي يُزيلُ الرّتابةَ، ويُعْلي البلاغَةَ، ويَجْعَلُ النَّصَّ محفوظًا عنِ الإهْمال. وأنَّ المَلَلَ في أيِّ نَصٍّ هو مَوْتٌ لهُ. لذا، يَجِبُ على المُرْسِلين أن يُحقِّقوا مسافَةً جماليَّةً مميَّزةً، تجعل من نصوصِهم إبداعاتٍ تأبى الزّوال.

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- إبراهيم، نبيلة. القارئ في النص ؛ نظرية التأثير والاتصال ، مجلة فصول ، القاهرة ، مج ٥ ، ع ١، سبتمبر ١٩٨٤ ، ١٠٦.

٢- الأمويّ، ابن حجّة. خزانة الأدب وغاية الأرب، المطبعة العامرة، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٢٢.

٣- البريكي، فاطمة. قضية التلقي في النقد العربي القديم ، دار الشروق ، الأردن ، ٢٠٠٦ ، ٤١.

٤- حديدي، صبحي. رموز فلسطينيّة ليست بحاجة للبحث عن هويّة، مجلّة الكرمل، العدادن (٥٥-٥٦) لسنة ١٩٩٨: ٣٨٩.

٥- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التّفسير، بيروت، ٢٠١٠ ١٨/١.

٦- الرويلي، ميجان. والبازعي، سعد. المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٢ ، ٢٨٢-٢٩٠.

٧- السّيوطي. الدّر المنثور، ٢٠١١، ٥٦٤/١٠.

٨- شرفي، عبد الكريم. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ؛ دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧، ١٤٣.

٩- صليبا، جميل. المعجم الفلسفيّ، بيروت، ١٩٨٢.

١٠-ضيف، شوقي. الفكاهة في مصر، دار الهلال، العدد ٨٣، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٣.

١١-ابن عاشور. التّحرير والتّنوير، تونس، ٢٠٠٤، ٣١٦/٢٥.

١٢-عباس، محمود. قراءة النص وجماليات التلقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ١٤

Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

١٣-عودة، ناظم. الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، دار الشروق ، الأردن ، ١٩٩٧، ١٥

١٤- كنفاني، غسّان. الأدب الفلسطينيّ المقاوم تحت الاحتلال، بيروت. ٩٧.

١٥-المبارك، محمد. استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٩٩، ٢٧.

١٦-مجلّة شؤون فلسطينيّة، العدد (١) لسنة ١٩٧١: ٢٠٥. محمود درويش وجائزة اللّوتس.

17-Jauss, Hans-Robert. Reception Theory and Reader-Response. London, 1987.